

قراءة في كتاب: السلطوية في التربية العربية



ذ. سعيد السلმاني / المغرب

تمهيد

" إنَّ العروق عليها ينبت الشَّجر " فالتربية والتعليم هما مرآة المجتمع هما مقياس التقدم أو التخلف؛ حيث لا يمكن الحديث عن التنمية في ظلَّ الأمية. وعليه يمكن القول: إنَّ التربية التي تقوم على العنف والتعسف والقهر والتسلُّط ومصادرة الحرية هي أقصر الطرق لتحطيم الفرد وتدمير المجتمع. ونظرا لما تشهده المنظومة التعليمية في بلداننا العربية من تردُّ وتراجع مهول حسب العديد من التقارير والدَّراسات، فقد وقع اختيارنا على هذا الكتاب للقراءة وتقديمه للقراء والكتاب والمربين وكلَّ المهتمين. وهذه القراءة المتواضعة لا تغني عن قراءة الكتاب الذي هو الأصل.

وتكمن أهميَّة الكتاب في كونه يدعو إلى إصلاح نظام التربية والتكوين من الداخل مبرزاً المرض الخطير الذي تعاني منه المنظومة التربوية في الوطن العربي. إذ لا تنشأ بالمعنى العلمي الصحيح إلا في ظلَّ تعليم قويٍّ بمواصفات عالمية.

تأطير عام للكتاب:

وقفة مع الكاتب:

- د يزيد عيسى السورطي، مهتمٌ بالتربية، اشتغل في العديد من الهيئات له العديد من الأبحاث في هذا الصدد.
- حاول في هذا الكتاب أن يقف على السلطوية كمرض يعاني منه الجسم التربوي العربي المثخن بالجراح.
- قسّم مؤلفه هذا الى سبعة فصول وخاتمة.
- المراجع المعتمدة باللغتين: العربية (440) والإنجليزية (46).
- إشكالية الانطلاق، ما هي مظاهر السلطوية في التربية العربية؟ وما أسبابها ونتائجها؟

تحليل المؤشرات:

المؤشر 1: مظاهر السلطوية في العملية التعليمية - التعليمية:

- أ- السلطوية في طرق التدريس: هي أساليب نقل المعرفة والخبرة ومضامين المناهج إلى المتعلمين.. ومن أبرز علامات السلطوية في هذا الجانب؛ التلقين. إنّه أكثر الطرق التي تهدم شخصية الطالب فهو يضعف قدرته العقلية بل إنسانيته وتكاد تنفي كيانه لأنّه كثيراً ما يمارس من خلال علاقة تسلّطية.

• خلاصة، إنّ أرقى درجات التفكير عند الإنسان تتكوّن وتنمو من خلال التلاقح الفكري الذي تحقّقه المناقشة والمناظرة في إطار من الانفتاح والتسامح والحرية.

ب - السلطوية في المناهج الدراسية

المناهج: هي الحياة المدرسية كلّها، ومن أهمّ مظاهر السلطوية فيها ما يلي:

- اقتباسها من الخارج ثم فرضها بطريقة تعسّفية على الطلاب.
- تركيزها على المعرفة بدل الطالب.
- سلطة المقرّر من كتاب وغيره.
- عدم المشاركة في بناء المنهج من مدرّسين وطلاب..
- خلاصة، إنّ المناهج يجب أن تكون وسيلة لخدمة الفرد والمجتمع لا غاية يطوّع في سبيلها الطلاب.

- ج - السلطوية في التقويم التربوي

- **التقويم التربوي** هو إصدار حكم على مدى تحقيق الطلاب أو الجهاز التعليمي للأهداف التربوية.

- إنّ شمولية التقويم وتعدّد أهدافه يتطلّبان ضرورة بنائه على وسائل وأدوات متنوّعة لكنّه يكون في معظم المدارس العربية والجامعات من خلال وسيلة واحدة تقليدية وهي الامتحان.

مخاطر التقويم عن طريق الامتحان فقط:

- التأثير على الحالة النفسية للطلاب
- إرهاق المدرّسين وأولياء الأمور
- بروز النزعة الفردية والمنافسة السلبية
- **خلاصة،** إنّ تعليمنا بشكل عام، لا يبنّي كثيرا على البحث والتنقيب والاكتشاف، بل يعتمد غالبا على الاستقبال الذي يقوم على الخضوع والتنفيذ الآلي.

المؤشر 2: مظاهر السلطوية في الجانب الإداري للتربية:

- أ - السلطوية في الإشراف التربوي:
- **الإشراف التربوي:** هو عملية تعاونية تهدف الى تحسين التعلّم وتحقيق الأهداف التربوية.

- بيّنت العديد من الدّراسات الميدانية أنّ الإشراف التربوي في الدّول العربية يستبعد أيّ اعتبار لقيمة المدرّس ونموّه الشّخصي ومشاعره، يتحوّل المدرّس الى تلميذ والمُشرف مدرّسا تقليديا سلطويا يلقّن ويعاقب من يشاء بطريقة عشوائية.
- كثيرا ما يُمارس الإشراف التربوي في عديد من المدارس العربية كعملية سلطوية مزاجية تفتيشيّة تهدف الى تخويف المدرّس وإحراجه وإظهار نقط ضعفه، فكلّ منهما لا يثق في الآخر.

ب - السلطوية في الإدارة التربوية

- **الإدارة التربوية هي:** مجموعة من العمليات والإجراءات والمسائل المصمّمة وفق تنظيم معيّن... هدفها الرئيسي هو الارتقاء بالتعليم والتعلّم. هذا يعني إعطاء العنصر البشري مكانته في أغلبية الوطن العربي تتميّز الإدارة التربوية بالسلطوية المتمثّلة في المركزية

الإدارية المتطرفة التي تجعل من الهيئات المدرسية أدوات لتنفيذ تعليمات وأوامر الجهاز المركزي وهيمنة البيروقراطية وضعف الكفاءات الإدارية وغياب القيادة التعليمية.

السلطوية في الإدارة التربوية، أين تتجلى؟

- ضعف الكفاءات الإدارية وغياب القيادة التعليمية
- المركزية الإدارية
- هيمنة البيروقراطية.

تؤدي إلى النتائج التالية:

- جعل المدرّس أقلّ قبولاً لمهنته
- منتوج طلابي متدّمر، نكوصي، مقهور مغترب.

السلطوية في الإدارة الصفية

- إنّ نجاح العملية التربوية ينطلق أساساً من الإنجاز في الغرفة الصفية وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال امتلاك المدرّسين لمهارات ثلاث مهمّة هي:

- التخطيط
- الإدارة
- التدريس

وهناك اتجاهين رئيسيين في إدارة الصف:

1 الاتجاه الوقائي:

- - توفير تعليم فعّال يوفر بيئة مادية ونفسية ملائمة للتعليم
- - إقامة علاقة إيجابية داخل الغرفة الصفية من خلال تفاعل المدرّس مع طلابه والطلاب مع بعضهم والمدرّسين مع بعضهم وكذلك أولياء أمورهم.

2 الاتجاه العلاجي التسلطي:

- - تحقيق النظام في الصفّ من خلال فرض الصّمت ومنع المشاركة وتقييد فرص الطلاب في طرح الأسئلة
- - إعطاء أولوية كبرى لسنّ القوانين الرادعة القهرية
- - يشير واقع الإدارة الصفية في الوطن العربي إلى ما يلي:
- - ضعف إدارة الصفّ الوقائية
- - شيوع إدارة الصفّ السلطوية العلاجية، وهذا يؤدي إلى النتائج التالية:
- - ** قلة احترام الطلاب للمدرّس وخروجهم عن النظام
- - ** كثرة الغياب والغشّ في الامتحانات
- - ** زيادة تمرّد الطلاب على سلطة المدرسة

السلطوية في العلاقة بين المعلم والطلاب:

- إنّ العلاقة بينهما في كثير من المدارس العربية غالباً ما تقوم على التسلّط والإجبار من جانب المدرّس "الأعلم" "المسؤول"، والخوف والإذعان والاستسلام من جانب الطلاب حتّى أصبحت مهمّة كثير من المدرّسين إنتاج طلاب مدجّنين غير قادرين على

النقد والاعتراض والمناقشة ومذعنين لمختلف أشكال التعسف والقهر، فقد العديد من الدراسات أن المدرّس في الوطن العربي يميل إلى التشدد ويجنح نحو السلطوية في تعامله مع طلابه.

- من الأوليات الأساسية لكثير من المدرّسين العرب بشكل عام السيطرة على الفصل وضبط النظام، فالمناقشة والتفاعل والإيجابية قد يعني في نظر الكثير من المدرّسين، الفوضى والتسيّب وإضاعة الوقت ولذلك لا بدّ من تنمية فضيلة السكوت المطبق.

المؤشر 3: مظاهر السلطوية في مشكلة الحرية الأكاديمية:

- مفهوم الحرية الأكاديمية: تعني غياب القيود والإكراه والإجبار والقهر عن نشاطات البحث والدراسة والتدريس في الجامعات ومراكز البحث.

• عناصر الحرية الأكاديمية:

- أ- حرية أعضاء هيئة التدريس، وتتجلى في:
 - الحق في توجيه النقد للبرامج التعليمية والتنظيمية
 - الحق في رسم مناهج في البحث والتدريس
 - الحق في التفكير المستقلّ والعمل سعياً وراء الحقيقة
- ب- الاستقلال الإداري والمالي للجامعة
- ج- حرية الطلاب، وتتجلى في:
 - الحرية في تكوين استنتاجاتهم والتعبير عن آرائهم
 - الحرية في اختيار التخصصات والمشاركة في تقرير ما يدرسونه

• واقع الحرية الأكاديمية في الجامعات العربية

- - غموض هذا المفهوم
- - ضعف حرية الأستاذ الجامعي في البحث العلمي والتدريس
- - التسلّط الإداري الجامعي
- - ضعف الاستقلال المالي والإداري للجامعة
- - ضعف الحرية الأكاديمية للطلاب
- أسباب كلّ هذا ترجع الى: أسباب تاريخية وسياسية واجتماعية

المؤشر 4: السلطوية وشيوع الأمية والتميز التربوي:

- بالتعليم يتشكّل عقل الإنسان وفكره ووعيه السياسي والاجتماعي ومن ثمّ فإنّ حرمان الإنسان من حقّه في التعليم يعدّ أحد مظاهر السلطوية في التربية العربية.
- أمّا السلطوية المتمثلة في التمييز التربوي فتتجلى بشكل واضح في التمييز الطبقي والجنسي والجغرافي.

• ومن نتائج هذا الوضع:

- _ إعادة إنتاج التمييز في المجتمع

- زيادة التسرّب والرّسوب
- تهديد الأمن الاجتماعي والتربوي

المؤشر 5: السلطوية المتمثلة في التسليع التربوي:

- هذه الظاهرة تعمل على تحويل التربية من رسالة سامية الى سلعة تجارية وتؤدي إلى تشيئ التربية بعد تشيئ الإنسان نفسه، ومن ثمّ يصبح الهدف الأسمى للتربية هو تحقيق الربح ويتمّ تسويقها والترويج لها كأيّ سلعة بأساليب شتى مشروعة وصادقة أحياناً، وينتابها الكذب والتزوير في أوقات أخرى.

• ومن مظاهر هذا الوضع:

- الدروس والمدارس والجامعات الخصوصية
- المناهج الدراسية السّكونية أو المستوردة المحوّلة الى مذكّرات بهدف الربح.
- استيراد الباحثين من الغرب والإسراع في البحوث جرياً وراء الربح
- التقويم عن طريق الامتحانات فقط
- خلاصة القول: إنّ الثقافة المشبعة بالاتّجاه السلعي كثيراً ما تتميز تربيتها بالطابع السلعي.

المؤشر 6: اللفظية والماضوية في التربية العربية:

- اللفظية هي غلبة الألفاظ على المعاني. إنّها تحوّل التربية العربية من أفعال تنبض بالحياة إلى أقوال جامدة ومن سلوكات علمية الى تنظير منفصل عن الواقع ومن تركيز على الجوهر إلى اهتمام بالشكل ومن روح تسري في المجتمع إلى مجرد ظاهرة صوتية.

• ومن مظاهر هذا الوضع:

- اللفظية في الأهداف التربوية، إنّها بيانات سياسية ذات توقّعات تربوية
- اللفظية في محتوى المناهج الدراسية
- اللفظية في طرق التدريس وفي البحث التربوي
- أمّا الماضوية فهي سجن وحبس النظم التعليمية في زنازين الماضي وحرمانها من العيش في الحاضر واستشراف المستقبل ممّا يجعل التربية أسيرة الماضي.

• ومن مظاهر هذا الوضع:

- - الماضوية في التقويم التربوي والأهداف التربوية وفي المناهج الدراسية وطرق التدريس وفي الإدارة التربوية.
- إنّ أغلب تعليمنا في العالم العربي لفظي قهري، فتمّت كلام كثير ونظريات أكثر، وعمل قليل وإنتاج أقلّ، فالاستعاضة بالقول عن العمل خاصيّة ثقافية عربية رئيسيّة معاصرة.

المؤثر 7: نتائج السلطوية في التربية العربية

- 1 إعادة انتاج التسلط.
 - 2 إضعاف النظام التعليمي.
 - 3 تسهيل التغريب الثقافي والتربوي.
- والاغتراب: هو حالة ذهنية يشعر فيها الشخص بأنه معزول عن مجتمعه، أو هو شعور الفرد بالانفصال النسبي عن ذاته أو مجتمعه أو كليهما.
- من أهم مظاهر الاغتراب ما يلي:
 - العزلة الاجتماعية
 - العجز
 - غياب المعنى والمعايير
 - الغربة عن الذات
 - فقدان الهوية
 - خلاصة القول: إنّ السلطوية التربوية والتعليمية، تنتج جيلا ضعيفا ومحبطا لا يقوى على مواجهة المشكلات والتحديات التي يواجهها فضلا عن عدم قدرته على تحقيق المعجزات.

كلمة أخيرة:

- إنّ السلطوية مرض تنتشر أعراضه في كثير من أوصال الجسم التربوي العربي، ولهذا المرض ضحيتان رئيسيان هما: الفرد والمجتمع. ولوضع حدّ لهذا الوباء الخطير يقترح الباحث مجموعة من التوصيات أهمّها ما يلي:
- إقامة العلاقة داخل الأسرة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية على أساس من التفاهم والتحاور والاحترام المتبادل، بعيدا عن القهر والإذعان والعنف والتركيز على أساليب الثواب والمكافأة والتشجيع ...
- إشاعة الأمن والحرية في جنبات المجتمع ومؤسساته
- تحقيق الإصلاح السياسي عن طريق المشاركة الاجتماعية الموسّعة
- العمل على تطوير النظم التعليمية العربية بأهدافها وبنياتها وأساليبها. ومن أهمّ النقاط التي يجب التركيز عليها في هذا المجال ما يلي:
- أ- التخلّي عن اعتبار المنهج الدراسي مجرد كتب مدرسيّة والنظر إليه على أنّه إطار شامل للمعارف والخبرات والمهارات.
- ب - تنويع طرق التدريس بدلا من الاعتماد على طريقة واحدة هي التلقين.
- ج - تنويع وسائل التقويم بدلا من تبني وسيلة واحدة هي الامتحان
- د - إقامة علاقة تفاعلية بين الطلاب ومدرّسيهم أساسها التفاهم والاحترام والسّعي إلى تحقيق أهداف مشتركة.
- هـ - تحويل الإشراف التربوي من مفهومه التفتيشي السلطوي الجامد إلى مفهوم متطور يقوم على التعاون والتنظيم من أجل تطوير العملية التعليمية التعلّمية.

و- التقليل من هيمنة المركزية الإدارية في التربية والتعليم.

ز- تبني المفهوم الشامل للإدارة الصفية الذي يقوم على الوقاية من جهة والعلاج الذي يبنّي على القواعد السليمة لتعديل السلوك من جهة أخرى.

ح - ضمان تطبيق الحرية الأكاديمية في الجامعات العربية

ط - مقاومة التعامل مع التعليم بوصفه سلعة وإبقاؤه خدمة تقدّمها الدولة العربية لمواطنيها.

ي - تحرير التربية العربية من أغلال الماضوية وربطها بالحاضر والمستقبل وتخليصها من الصبغة اللفظية المسيطرة عليها.

ك- العمل بجِدّ على نشر التعليم ومحاربة الأمية.

نخلص إلى القول: إنّ الدكتور عيسى قد وضع يده على الجرح المندمل، وعليه يمكن أن نستنتج بأنّ واقع التعليم في أيّ بلد يعكس نوعية الإنسان والمؤسسات وطرق التفكير والطموحات... ولن يتغيّر الوضع ما لم تتغيّر هندسة التربية والتعليم، لأنّ أفق أيّ مجتمع مرهون بجودة تعليمه.